المقاومة المسلحة ودورها في مواجهة الاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى
"مقاومة قبائل زيان أنموذجا ما بين 1914–1921م"

La résistance armée et son rôle dans l'opposition à l'occupation française du Maroc.
« Exemple de la résistance des tribus Ziane entre 1914 et 1921 »

الدكتور ادريس أقبوش.

وزارة التربية الوطنية بالمغرب.

الإيميل المهني: driss.akabouch@taalim.ma

ت. الارسال: 16. 05. 2021	ت. المراجعة: 20. 06. 2021	ت. القبول: 25. 06. 2021

الملخص: يشكل موقع قبائل زيان الحلقة الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه، وبفضل موقعه المتميز اكتسى أهمية كبرى ضمن المخططات الاستعمارية. وهكذا يتضح أن الحاجة الاستعمارية تفرض السيطرة على هذا المجال الجغرافي لما له من أهمية. شكل حدث اندلاع الحرب العالمية الأولى حافزا للمقاومين الزيانيين الذين كانوا يناوشون المراكز العسكرية الفرنسية باستمرار، بل وشهدت المنطقة خلال هذه المرحلة عدة معارك بين الطرفين، ومنها معركة لهري التي هزت دعائم الاستعمار الفرنسي، وفرضت على القيادة العسكرية الفرنسية مدة الحرب الطويلة، رغم الحصار الخانق، والوسائل الحديثة المستعملة من مدفعية وطيران، زد على ذلك سياسة المراكز العسكرية الأمامية التي تمت إقامتها في كل المناطق المجاورة لزيان من أجل تطويق المقاومة وإخضاع القبائل. لكن رغم ذلك فقبائل زيان عبرت في معركة لهري عن روح نضالية متميزة، وعن فنون قتالية منقطعة النظير، وعن القدرة على الصمود والثبات في وجه المستعمر على الرغم من ضعف الإمكانات المادية مقابل قوة الخصم وتنويعه لأساليب السيطرة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: المقاومة المسلحة، المغرب ، زيان، الاستعمار.

Résumé: L'emplacement de l'ensemble des tribus zayane constitue un pont liant le Nord du Maroc au Sud. Et grâce à son emplacement exceptionnel, il a revêtu une grande importance dans les plans et manœuvres colonialistes.

La déclaration de la première guerre mondiale constitue une motivation des résistants zayane qui attaquaient perpétuellement les centres militaires français. En outre, la zone a connu plusieurs combats opposant les deux camps. Parmi ces combats nous citons Elhri qui a ébranlé les bases de la colonisation française et elle a imposé à la direction militaire française une guerre de longue haleine. Malgré l'assaut et l'outil ultra moderne, l'artillerie et l'aviation de surcroit la politique adoptée par les centres militaires du devant qui ont été implantés autour du zayane pour encercler la résistance et assujettir les tribus. Mais malgré tous les tribus zayane ont fait preuve lors de la bataille Elhri d'une bravoure exceptionnelle, ont déployé des arts martiaux hors pair et ont résisté aux camps des colonialistes en dépit de la pénurie des moyens matériels face a la force de l'ennemi et ses techniques colonialistes très variées.

Les mots clé : la résistance armée, Maroc, Zayane, colonialiste.

المؤلف المرسل: ادريس أقبوش، **الإيميل**: akbouchidriss@gmail.com

مقدمة:

تكتسي مقاومة قبائل زيان للتوغل الفرنسي أهمية بالغة ومكانة بارزة في سجل الحركات المناهضة للهيمنة الفرنسية على المغرب، بالنظر لما تميزت به المنطقة المدروسة من موقع جيواستراتيجي ومقومات طبيعية واقتصادية من جهة، ولما أبدته هذه القبائل من مقاومة شرسة امتدت لمدة عقدين من الزمان من العمليات العسكرية الفعلية من جهة أخرى. وعليه، انعكست المقاومة الزيانية على جزء كبير من مناطق المغرب، حيث عمت موجة من السخط والغضب كثيرا من قبائله سواء منها "المهدئة" (كروان، بني مطير، زعير...) أو التي لم يصلها الاحتلال بعد (آيت احند، اشقيرن، آيت اسحاق...)، وأصبح امتداد المقاومة متوقعا، بعد أن أخذ المناهضون للتدخل الفرنسي يتوافدون على بلاد زيان.

بناء على ما سبق، يتضح أن أهمية هذه المقالة تكمن في كونها تسعى إلى كشف النقاب عن تاريخ المقاومة الزيانية، وإسهامها الفعال في التصدي للغزو الفرنسي. وفي هذا الاتجاه تحديدا سنحاول قدر الإمكان أن نعرض في هذه المقالة، خصوصيات منطقة زيان، وكذا الحديث عن الاستراتيجية الفرنسية للتحكم في المجال، ومن جملة العناصر الأساسية التي سنستحضرها في هذا السياق، الحديث عن ركائز الغزو الفرنسي للمنطقة قبل أن ننتقل إلى رصد خطط الغزو العسكري للمجال، وصولا إلى رد فعل أبناء زيان والمتمثل في ممارسة المقاومة كأسلوب للمواجهة والذي يدخل في إطار استراتيجية تحقيق الهدف، والمتمثل في دحر الاحتلال أو على الأقل التصدي له وتأخير تقدمه.

ووفق ذلك يمكن القول أن الإشكالية الرئيسية تتمثل في الاستراتيجية الاستعمارية للتوغل في المنطقة، وردود فعل القبيلة. وبناء على ذلك، نتساءل عن موقع قبائل زيان، وأهم الاستراتيجيات التي اتبعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية للسيطرة على مجال زيان، وعن ظروف وحيثيات معركة لهري، ونتائجها، وكيف انعكست على الوجود الفرنسي بالمنطقة.

1. التعريف بقبائل زيان

زيان هم اتحادية أمازيغية تنتمي إلى آيت أومالو[1]، وتضم عدة قبائل، ومنها: آيت حركات وآيت كراظ وابوحسوسن واشقيرن وآيت احند وآيت عمر وآيت سكوكو وإيعاميين. يشكل موقع زيان الحلقة الرابطة بين شمال المغرب وجنوبه، لأنه يتموقع وسط المنحدرات الأطلنتية للأطلس المتوسط، كما أنه يربط شرق المغرب بغربه، بل يحقق التواصل بين آيت مكيلد وآيت احند واشقيرن وآيت اسحاق وزمور وآيت نظير والسماعلة(Ben lahcen, 2000: 13).

[1] – آيت أومالو: كلمة أمازيغية تعني الظل، وقد تعني السفح الظليل، ونتحدث عن سكان أومالو مقابل سكان أسمر أو السفح المشمس (التوفيق، 1989: 648).

إذن من حيث الموقع فزيان يحدها شرقا بني مكيلد ومن الشمال آيت نظير ومن الغرب زمور والسماعلة، ومن الجنوب آيت احند واشقيرن وآيت اسحاق.

وقد اشتهر الزيانيون بخصالهم الحربية وتقاليدهم القتالية وطول مراسهم، وتجدر الإشارة إلى أن الظروف الطبيعية والتاريخية فرضت عليهم التعويل على حروبهم لضمان بقائهم في بيئة قاسية، فهم قبائل تعتمد على الانتجاع بحيث تنتقل صيفا إلى مراعي الجبل وشتاء إلى أزغار(السهل)، مما يجعلهم قبائل متحاربة ومتصارعة فيما بينها على المجالات الرعوية(فرانسوا، 1999: 8). ومن ثم شكل توسع الفرنسيين على حساب السهل وقطع الطريق المؤدية من السهل إلى الجبل ضربة موجعة لمصالحهم، الشيء الذي يفسر شراسة مقاومتهم للزحف الاستعماري.

تفيد المصادر التاريخية بكون زيان انخرطوا إلى جانب إخوانهم الشاويين في المقاومة ضد طلائع قوات الغزو الفرنسي، فمنذ نزول الاستعمار بالشاوية سنة 1907م، أعلن المقاومون الزيانيون الجهاد في معارك الشاوية(فرانسوا، 1999: 55)، وعلى أبواب مكناس وفاس، وبفضل الحنكة القتالية لم يستطع المستعمر الفرنسي التقدم في تراب زيان بصفة عامة، وكانت كل المعارك على أبواب بلاد زيان(المنصوري، 2004: 270).

إذا كانت قبائل زيان قد صمدت في وجه الآلة الاستعمارية لمدة طويلة، فسقوط أعالي وادي أم الربيع في يد المستعمر الفرنسي في 11 يونيو 1914(فرانسوا، 1999: 55) أدى إلى التحكم في الطريق الرابطة بين أزغار(السهل) والجبل، وبالتالي حرمان زيان من جزء هام من مجالهم الرعوي الذي يشكل الركيزة الأساسية في نشاطهم. وانطلاقا من هنا، يمكن أن نعتبر مسألة الرعي قضية مركزية في الفكر الفرنسي تستدعي التحكم في المجالات الحيوية بما يضمن تطور المشروع الاستعماري، خاصة وأن بلاد زيان كما أشارت تقارير الضباط الفرنسيين تمثل مركزا خطيرا للمقاومة والثورة ضد الغزو الأجنبي، وهذا ما جعل ليوطي يصرح " إن بلاد زيان تصلح لكل العصاة بالمغرب الأوسط، وإن إصرار المجموعة الهامة في قلب منطقة احتلالنا وعلاقتها المستمرة مع القبائل الخاضعة، يشكل خطرا فعليا على وجودنا، فالعصاة والمتمردون والقراصنة مطمئنون لوجود ملجأ وعتاد ومواد، وقربها من محطات الجيش ومناطق الاستغلال جعل منها تهديدا دائما بالنسبة لموقعنا "(Lyautey, 1953: 181).

مثلت بلاد زيان بالفعل انطلاقا من موقعهم الجغرافي المتميز الرابط بين فاس ومراكش أكبر تهديد للوجود الاستعماري(Lyautey, 1953: 5) ، لأن انتشارهم خارج قدم الأطلس أهلهم لتنظيم حركات ضد معسكرات

الفرنسيين وضربها بسهولة كما وقع ضد الشاوية منذ 1907م. لهذا خلقوا للغزاة مشكلة ثلاثية سياسية وعسكرية واقتصادية، فاصطلح العسكريون والساسة منهم على هذه الوضعية "مسألة زيان" (المالكي، 1986-1987: 537).

2. الأساليب الاستعمارية لمحاصرة الأهالي.

إذا كانت قوات الاحتلال قد تمكنت من غزو السهول الخصبة والمدن المغربية الكبرى بسهولة، فإنها قد لاقت مشقة كبيرة في إخضاع القبائل الجبلية ومنها القبائل الزيانية، وهكذا يتضح أن الحاجة الاستعمارية تفرض السيطرة على هذا المجال الجغرافي لما له من أهمية، وهذا ما جعل **Lucien Saint** (عضو مجلس الشيوخ الفرنسي)، يقول بدون أطلس خاضع، يبقى غزو المغرب غير ثابت ومتزعزعا. من هنا ندرك أن فتح هذه الطريق ضرورة حيوية لإتمام غزو "المغرب النافع"، من أجل ضمان تزويد المتروبول بما تحتاج إليه من مؤن وجنود ويد عاملة، سيما وأن ليوطي بدأ منذ بداية 1914 م، يستشعر حدوث حرب بين بلاده وبين ألمانيا(Révérend, 1976: 360)، وفي هذا السياق كتب A. Bernand يقول:" طالما أن هذه الطريق ليست في أيدينا، فإن وحدة إمبراطوريتنا الإفريقية تبقى غير ثابتة"(Révérend, 1976: 367). لهذه الأهداف كان ليوطي يتسابق مع الزمان لإنهاء مشكلة زيان قبل أن تقوم حكومته بسحب عدد من الوحدات المرابطة بالمغرب، وإرسالها إلى الجبهة الأوروبية لتعزيز قدرات الجيش الفرنسي ضد ألمانيا.

ومن أجل التحكم في هذا المجال الجغرافي، شرعت السلطة الاستعمارية في تنويع السياسات الاستعمارية، ومنها السيطرة على الطرق التجارية بهدف تحطيم التجارة حتى تصبح القبائل في أمس الحاجة لمساعدة المستعمر، بالإضافة إلى محاصرة القبائل في المناطق الجبلية وحرمانها من الانتجاع إلى المناطق السهلية، وخاصة في فترة الشتاء مما عرض ماشية القبائل للهلاك، ناهيك عن سياسة تخريب وإحراق القرى ونهب الماشية والحبوب ومصادرة الدواب في إطار ما يعرف بسياسة الأرض المحروقة. وكل ذلك يدخل ضمن خطط وتكتيكات الجيش الفرنسي لاحتلال المنطقة.

جربت السلطات الاستعمارية كل الخطط والأساليب لإخضاع القبائل الزيانية ووضعها تحت سيطرتها، لكن الفلاحين والرعاة بالأطلس المتوسط تابعوا نضالهم من أجل الحرية، وقد تميزوا بشجاعتهم واستماتتهم، كما أبانوا عن روح هجومية ممتازة، واستطاعوا بنجاح استعمال وعورة جبالهم التي يعرفون مسالكها وخباياها جيدا، لتعويض مستوى تسليحهم الضعيف، فكانوا يهاجمون ويناوشون باستمرار، تجريدات وقوافل الجيش ونقط الحراسة، ويضاعفون من الكمائن والضربات، ولم يترددوا حين كانت تسمح الفرصة بذلك في الارتماء على الفيالق المنظمة المتحركة، وقد قاوموا رغم الحصار إلى آخر رمق(ألبير، 1985: 381). وهذا ما صرح به ليوطي إذ قال «لم تخضع لنا أية قبيلة بكيفية تلقائية، ولم تخضع

أية واحدة منها بدون مقاومة، بل أن بعضها لم تخضع إلا بعد نفاذ كل وسائلها في المقاومة عن آخرها»(Guillaume, (s,a): 72). وقد سبق لأحد النواب (طارن) أن حذر الحكومة الفرنسية قائلا: سيكون من الخطأ اعتقاد إخضاع المغاربة، بسبب تفاوت في القوى، إذ «يمكنكم عبور هذه البلدان، وتخريبها، ونهبها، يمكنكم خنق الناس، لكنكم لن تتمكنوا من جعلهم يقولون: إننا خاضعون إلى الأبد»(أوفيد، 1987: 70).

رغم المقاومة المستميتة لقبائل زيان، استولت الجيوش الفرنسية على خنيفرة عاصمة موحا وحمو في 12 يونيو 1914، وجمع موحا وحمو أمتعته وفر إلى الجبل ووجد الفرنسيون المدينة خالية من السكان، فاعتقد مهندسو السياسة الاستعمارية أن القبائل الزيانية، غير قادرة على المواجهة وأنها استسلمت للأمر الواقع، إلا أن تكهناتهم خيبها اندلاع الحرب العالمية الأولى التي ساهمت في تغيير ميزان القوى لصالح الجبليين. إذ اضطر الجنرال ليوطي إلى إرسال عدة وحدات من المغرب لتعزيز الجيش الفرنسي ضد ألمانيا، وقد تلقى تعليمات من حكومته بالتخفيض من القوات المرابطة بالمغرب والتخلي عن بعض المناطق، وحصر نفوذ فرنسا في الشواطئ الرئيسية وفي بعض المناطق كفاس، وخنيفرة ووجدة للحفاظ على خط المواصلات، ورغم ذلك قرر الجنرال ليوطي أن يحتفظ بالجبهة المتقدمة لمواصلة أعمالها تدريجيا(معزوزي، 1987: 42). إلا أن انتشار حدث اندلاع الحرب العالمية الأولى شكل حافزا للمقاومين الزيانيين الذين كانوا يناوشون المراكز العسكرية الفرنسية باستمرار، بل وشهدت المنطقة خلال هذه المرحلة عدة معارك بين الطرفين، ومنها معركة لهري التي هزت دعائم الاستعمار الفرنسي، وخلقت له كابوسا حقيقيا. وذلك باعتراف القادة الفرنسيين ومنهم، الجنرال **كيوم** الذي قال " إن معركة لهري مأساة مؤلمة وهزيمة تامة، لم يسبق للجيش الفرنسي أن مني بها في الشمال الإفريقي"(Guillaume, (s,a): 163). ويضيف François Berger " أن هذه المفاجأة المفجعة كشفت عن صعوبات وأخطار حرب الجبل"(فرانسوا، 1999: 57). من هنا نؤكد أن المقاومة الزيانية قد فرضت على القيادة العسكرية الفرنسية مدة الحرب الطويلة، رغم الحصار الخانق، والوسائل الحديثة المستعملة من مدفعية وطيران، زد على ذلك سياسة المراكز العسكرية الأمامية التي تمت إقامتها في كل المناطق المجاورة لزيان من أجل تطويق المقاومة وإخضاع القبائل.

3. معركة لهري 13 نوفمبر 1914م.

تزامن اندلاع الحرب العالمية الأولى، مع استقرار موحا وحمو الزياني على مقربة من قرية الهري على بعد 10 كيلومترات جنوب شرق خنيفرة، وكان معسكره يضم بعض أبنائه وأقاربه، بالإضافة إلى بعض رؤساء القبائل الذين كانوا يعارضون سلطته في السابق. ولما سمع قائد مركز خنيفرة الكولونيل لاڤيردور باستقرار موحا وحمو بالهري، أراد أن يغتنم

الفرصة ليلا بهجوم مفاجئ رغم الأوامر التي تمنع الخروج، وواصل لاڤيردور عملياته بدون إعلان القبطان Ract-Brangaz، إذ قذف بكل الحاميات إلا واحدة كانت مكلفة بحراسة معسكر خنيفرة، تجاوز أوامر رؤساءه رغبة في الانتقام من موحا وحمو الزياني(Guillaume, S. D: 159)، ورفع المعاناة عن جنوده وإنهاء حالة اليأس الذي استولى عليهم، وفك هذا الحصار القاتل.

عقد لاڤيردور ندوة يوم 12 نوفمبر 1914، استدعى لها قواده، وشرح لهم خطته التي صمم عليها بعد أن دعمها الخائنان عيسى وأخوه (أبناء أخت موحا وحمو)، وكانت الخطة على الشكل التالي :(Guillaume, (s.a: 160)

عمليـــة الهجـــوم على مخيـــم لهري على الساعة السادسة صباحا

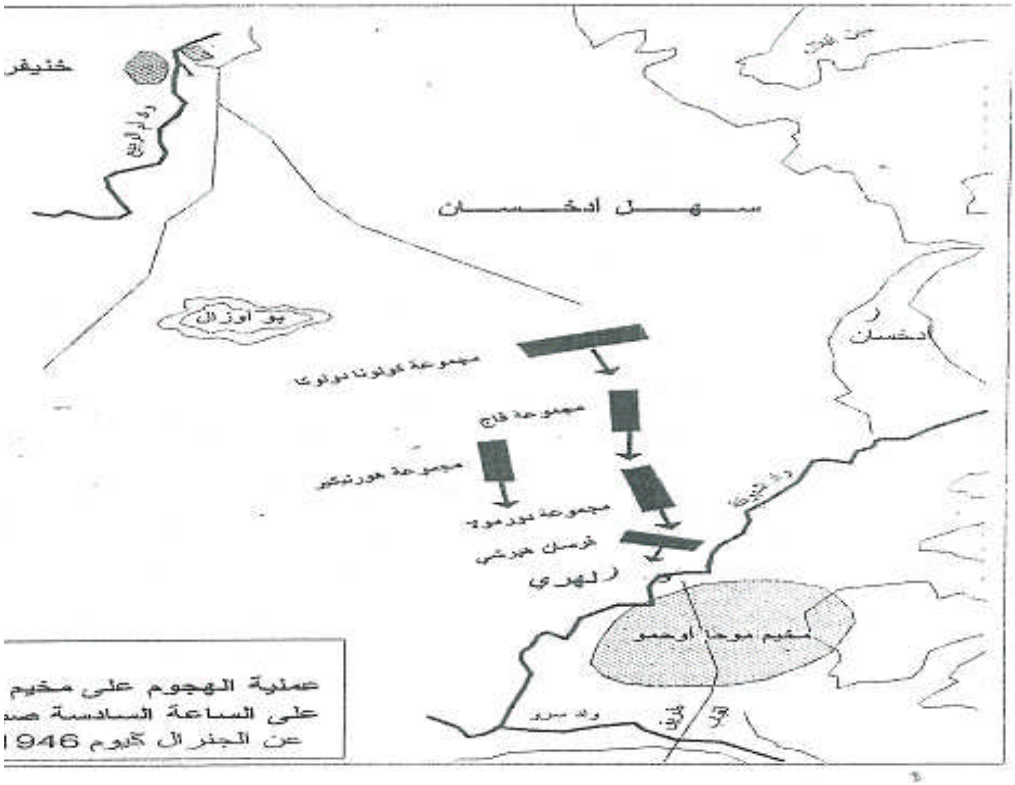

شكل 01: عملية الهجوم على مخيم لهري
.(Guillaume, S.D: 476)

انطلقت المسيرة من خنيفرة على الساعة الثانية والنصف ليلا بستة كتائب ومدفعية تحتوي على 75 Canon، و 65 مدفعية و 43 ضابط و 1230 رجل تحت أوامر كل من Lecca و Hornecker وDurmelatو Fages، واتجهت نحو الهري في سكون، وأوضح لهم لاڤيردور أن المقصود هو اختطاف القائد الزياني ومساعديه الأقربين، ونهب الخيام والقطيع تم العودة إلى خنيفرة قبل الساعة الثامنة صباحا من يوم 13 نوفمبر[2]. وقبل اقتحام المكان، تموقعت المجموعات على الشكل التالي: في اليمين مجموعة B، وفي الوسط مجموعة C و D، وفي اليسار مجموعة A .(Guillaume, (s,a) : 160)

نفد الهجوم على الساعة السادسة صباحا من نفس اليوم، وطبقت تعليمات لاڤيردور بدقة صارمة، غير أن الفرنسيين أخطأوا التقدير لتجاهلهم لقوات المقاومة والمقاومين الزيانيين واعتقادهم بسهولة القضاء على موحا وحمو الذي كان حلما كذبه الواقع.

ألحق الفرنسيون بالهري أضرارا بالغة، إذ قتل الأطفال والنساء والشيوخ، ونهبت الأموال والعتاد، لكن بسالة الزيانيين كلفتهم وأربكت حساباتهم، ففي الوقت الذي كان لاڤيردور يعتقد بأن الحظ ابتسم له ووضع حدا لمقاومة زيان، نزلت جل القبائل من أعالي الجبال إلى ساحة المعركة، وأغرقت الفرنسيين في بحر الدماء، وقد استعملت في هذه المعركة الخناجر والمسدسات والدبابات(Guillaume, (s,a): 162) .

استمر القتال بين الطرفين إلى أن نفدت كل المؤونة وبدأ العياء يدب في صفوف الفرنسيين، بينما أبان الزيانيون عن مهارتهم وتعطشهم للدفاع عن أرضهم. وهذا ما صرح به الجنرال گيوم عندما قال بأن القوات الفرنسية استنفدت الرصاص وبدأت الجيوش تقاوم بالسيوف، فبالرغم من أن القوات الفرنسية كانت تتوفر على مدافع ثقيلة تقصف بها المقاومين ابتداء من القمم في ارتفاع 1500 م، إلا أن المقاومين استولوا على رشاشات الجنود السنغاليين وهاجموا ناحية المدفعية التي كانت تحصدهم وتمكنوا من تدميرها، وقد أشار گيوم أيضا إلى ذلك قائلا: «كانت تنصب الطلقات النارية على الجيش من كل جانب، وقد جرح القبطان Hornecka فسلم القيادة لـ Fages الذي سقط بدوره، فتولى الكومندارColonna de lecca القيادة، ولكنه أصيب هو أيضا برصاصة فسقط جريحا، وقد أحدث اختفاء الضباط من ميدان المعركة بلبلة وارتباكا في صفوف العدو وتعرض معظم الجيش للقتل، رغم أن مجموعة Durmelat

[2]. Rapport mensuel d’ensemble du protectorat, situation politique et militaire, 1914, p.6.

بقيت صامدة وامتزج فيها الرماة الجزائريون والسنغاليون، فهي ظلت عاجزة عن قهر الزيانيين الذين واصلوا تقدمهم إلى جوار خنيفرة»(Guillaume, (s,a): 163-164).

كانت نتيجة المعركة مؤلمة بالنسبة للفرنسيين، الأمر الذي جعلهم يقولون بأن حادثة لهري يؤسف لها، وهي جرح مؤلم، إلا أنها بقيت محلية ولم تنعكس على الوضعية السياسية والعسكرية الفرنسية بالمغرب[3]. ويضيف François Berger بأن هذه المفاجأة المفجعة كشفت عن صعوبات وأخطار حرب الجبل(فرانسوا، 1999: 57).

أما الجنرال گيوم، فقد أحصى الخسائر وعلق عليها قائلا:

«من مجموع 1232 جندي و43 ضابطا التي كانت السرية تتكون منها قتل 33 ضابطا و590 جنديا، وجرح 176 رجلا منهم 5 ضباط. فمن الثلاثة والأربعين ضابطا الذين شاركوا في المعركة لم يسلم إلا خمسة، كان من بينهم أربعة فرسان، ولم يسترجع من الجثث إلا أربعين جثة، حملت إلى خنيفرة. وهكذا استولى المتمردون عل جميع المدافع وجميع الرشاشات وعدد كبير من البنادق. إن معركة الهري مأساة مؤلمة وهزيمة تامة، لم يسبق للجيش الفرنسي أن مني بها في الشمال الإفريقي»(Guillaume, (s,a): 163-164).

ومن جهته قال بيشون محصيا هو الآخر الخسائر:

«كانت الخسائر كبيرة، فقد توفي 612 جندي، و33 ضابطا، وجرح 155، منهم 6 ضباط، وفقدان 75 مدفعية، و630 بندقية، أما الخسائر في الدواب فكانت كبيرة، فقد أحصينا 40 فرسا لسلاح المدفعية، من أصل فرنسي، و18 فرسا من أصل مغربي، وأربعة أخرى لضباط المشاة، و32 بغلا للحمل و26 أخرى تابعة لسلاح المدفعية (Pichon)،(s,a): 153) . وأما خسائر المقاومة فقد بلغت حسب جان بيشون 400 رجل كانوا قد ماتوا في بداية المعركة عندما قامت القوات الفرنسية بحصار المخيم(Pichon) ،(s,a): 163) . في حين عدت تقارير الضباط الفرنسيين الخسائر في أكثر من 100 رجل ومن بينهم الموتى والجرحى وكلهم من أقرباء موحا وحمو الزياني»[4] .

كانت نتائج المعركة قاسية على الفرنسيين، إذ لم ينج من المذبحة إلا القلة القليلة من الجنود والضباط وبعض الجثث، بينما بقيت المدافع والرشاشات بيد الزيانيين، الذين اضطروا فيما بعد إلى التفاوض حول تبادل الجثث بالأسرى.

[3]. Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire, 1914, p.7.

[4]. Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire, 1914, p.7.

رغم تضارب الأرقام المسجلة عن الخسائر المادية والبشرية، فهي توضح أن المقاومين انتصروا، ولقنوا الفرنسيون درسا في المقاومة. وفي ضوء ذلك يقدم الجنرال كيوم صورة المقاوم الزياني، إذ يقول، "إنه محارب جيد بشمال إفريقيا، يتميز بالشجاعة يضحي بحياته، بعائلته للدفاع عن الحرية، فرغم امتلاكنا للإمكانيات سواء من حيث العدد أو العدة، فإنه يعرف كيف يتجنب آثارها، كما أنه متشبث بأرضه، وطالما تثقل تجهيزاتنا، أسلحتنا، ذخائرنا كاهله، وتزعجه قوافلنا الكثيرة، فإنه دائما يترقب المواجهة المباشرة رغم قوة أسلحتنا"(Guillaume, (s,a): 80)، ويضيف كيوم بأن كثرة الأسلحة ليس هو ما يؤدي إلى الانتصار وإنما الخدعة العسكرية(Guillaume, (s,a): 80). ويرجع سبب انتصار المقاومين الزيانيين إلى الخدعة العسكرية التي استعملها موحا وحمو الزياني الذي نزل عن قصد في واد عميق بخيمته حتى يستدرج العدو إلى مكان المعركة، وهزمه هزيمة شنعاء رغم الدبابات والرشاشات، وهذا ما يوضح أن الثقافة الحربية لدى الأمازيغ دفاعية، أي أن الأمازيغ لا يريدون الهجوم، بل يدافعون عن أنفسهم.

وتجدر الإشارة إلى أن بلاد زيان لم تشهد معركة واحدة، وإنما كانت مسرحا للعديد من المعارك، التي أربكت حسابات الفرنسيين، إذ وجدوا أنفسهم أمام شعب غيور بعيد كل البعد عن كل ما تكهنت به الدراسات الفرنسية. في كون الزيانيين ينتظرون قدوم فرنسا لتحريرهم من حاكمهم الظالم الطاغي(موحا وحمو الزياني)، ومن نير قبيلة آيت حركات(قبيلة موحا وحمو الزياني)(بن لحسن، 2003: 304).

بعد عرض موحا وحمو غنائمه على كل الجبل الثائر، وإبلاغ خبر انتصاره المدوي إلى الزعماء البارزين في بلاد العصيان تذكر العدو موتاه وهدأ، كما أن موحا أوحمو نفسه الذي كان يتلقى كل صباح خبر وفاة رجل أو أكثر من جرحاه غير المعالجين جيدا لم يعد يفكر إلا في إعادة تنظيم قبائله لكي يصمد أطول مدة ممكنة وانتظار هزيمتنا في فرنسا في أحسن الأحوال، ذلك أن هذه الهزيمة الكفيلة بإجلاء قواتنا من البلاد قد أبلغ بأنها أكيدة ووشيكة، بفضل مناشير الألماني هيرمان Herman من طنجة(كنون، 2014: 123). وبالتالي رأى أنه من الضروري الدعوة إلى عقد اجتماع في جبل بشمال أم الربيع لاستغلال أزغار في حرثهم وانتجاعهم نظرا لظروف الشتاء، وانعدام الكلأ في قمم الجبال. فتم حينئذ الحرث في السهل، ووجدت خيامهم بجوار خنيفرة، بل انتشروا إلى حدود ولماس[5] واستمر موحا أحمو يهاجم الفرنسيين ويكبدهم خسائر فادحة في الرجال والعتاد حتى أن جيش الاحتلال بخنيفرة ظل محاصرا، فكان الرقاصون لا يصلون إلى المدينة إلا ليلا وغالبا ما كان المقاومون يعترضون طريقهم، ولم تجرؤ أي طائرة عسكرية على النزول بخنيفرة إلا في صيف 1917(العلمي، 2001: 93). لكن إصرار القوات الفرنسية على البقاء في خنيفرة اندلعت النزاعات، وبدأ

[5]. Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire, 1914 ; p.12.

تأثير موحا وحمو ينقص يوما بعد يوم، نظرا لقراراته اللاشعبية، التي تتمثل في فرض غرامات على المواطنين الذين يأتون لبيع منتوجاتهم بخنيفرة[6] ومن أجل خلق المزيد من التصدع داخل الكتلة الزيانية. اعتمدت السلطات الفرنسية على الحصار، ويشير تقرير فرنسي في هذا الصدد إلى تكتيك الحصار الذي استمر الجيش الفرنسي في اعتماده كخيار لإنهاك المقاومة الزيانية، جاء فيه: «أن الكتلة الزيانية تم قصفها بقذائف طائراتنا، وحصل بؤس في الجبل، وأصبح من المستحيل الوصول إلى أراضيهم لحرثها، ولهذا أصبحت الكتلة غير الخاضعة قد اهتزت كثيرا بسبب تخوفاتهم من فصل سيء ينهك ماشيتهم»[7] وأمام هذا الحصار الذي شل حركة المنتجعين، بدأ ضباط الاحتلال يحاولون إغراء أبناء موحا وحمو للانضمام إلى صفوفهم، وتزامن ذلك مع اندلاع المنافسات حول القيادة في صفوف زيان وأفضت إلى النزاع بين حسن وأمهروق ابني موحا وحمو من جهة، وأولعايدي ابن أخيه وخليفته من جهة أخرى. فتشكلت شلل بهذا الصدد أدت إلى إحداث أول تصدع في كتلة العدو. وفي نفس الفترة تقريبا وقع حدثان سيؤثران بشكل كبير في سياسة زيان: خضوع بوعزة ابن موحى أوحمو وأخ حسن مع أسرته وخدمه بخنيفرة من جهة(كنون، 2014: 125)، ومن جهة أخرى تنصيب حسن عامل خنيفرة وزيان وأخاه أمهروق خليفة له من طرف المقيم العام ليوطي[8]

لكن رغم ذلك أبى موحا وحمو الزياني إلا أن يتمسك بنهج المقاومة، في الوقت الذي ألقى جل أبنائه السلاح، وكان موحا وحمو يقول في هذا الشأن «فليفعلوا ما شاءوا، أما أنا فما دمت حيا لن أنظر إلى الفرنسيين إلا على مستوى بندقيتي وأصبعي على الزناد»(المنصوري، 2004: 250). استمر موحا وحمو يقاوم مع من بقي من المقاومين، وكان من بين الهجومات القوية التي قام بها ضد الفرنسيين بخنيفرة هجوم شهر أكتوبر 1919 ضد فرقة التموين[9] ويضيف التقرير أن المواجهة كانت منظمة، اشتبكت فيها الأجسام[10]

ظل موحا وحمو يقاوم رغم كبر سنه، إلى أن أصابته رصاصة العدو في عنقه أسقطته قتيلا يوم 27 مارس 1921. ومنذ ذلك الوقت بدأت ملامح التحكم الفرنسي، تتضح أكثر إذ نهجت إدارة الحماية سياسة إشراك القبائل في القيام بالعمليات العسكرية وتوفير الأمن، ففرضت عليها تجنيد الفرسان وما يلزمهم من مؤن للقيام بهذه الأدوار الجديدة (شكاك، 2010: 122). وأشرف الفرنسيون على تنظيم حركات يقودها القواد أو الخاضعون.

6. Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire, 1916, p.08.
7. Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politiques et militaire, 1922, p.06.

8. Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire, 1921, p.09.
9 . Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire de 1919, p.19
10 . Ibid.

الخاتمة

يظهر لنا من خلال معركة لهري أن القبائل الزيانية اتحدت فيما بينها لمواجهة خصم يستعمل الأسلحة الفتاكة(طيران، مدفعية...)، ومع ذلك لم يذعنوا إلا في آخر رمق ما جعل أعداءهم لا يخفون إعجابهم واحترامهم لهذه الدرجة القصوى من التعلق بالحرية. خاصة وأن هؤلاء الفلاحين البسطاء الذين لم يروا من الدنيا إلا محيطهم الجبلي لقنوا القوات العسكرية الفرنسية درسا في الاستراتيجية الحربية ، فقد نجحت المقاومة الزيانية في تحطيم البنية العسكرية للجيش الفرنسي، وكسر شوكة الفرنسيين والتنكيل بهم في معركة لهري، ولهذا شكل حدث الهري تاريخا لواقعة كبرى هزت دعائم الاستعمار الفرنسي وخلقت له كابوسا حقيقيا. ختاما يمكن القول إن معركة لهري ماهي إلا حلقة من حلقات المقاومة الوطنية المغربية الطويلة التي ستستمر إلى غاية 1934م، سيبرز من خلالها أبطال آخرون بالأطلس المتوسط أمثال محمد أقبلي وأبناء علي أمهاوش وسيدي المكي وغيرهم.

البيبليوغرافيا:

باللغة العربية

المصادر (الكتب والمقالات):

1. كنون، س. (2014): *الجبل الأمازيغي آيت أومالو وبلاد زيان*، ترجمة محمد بوكبوط، سلا، المغرب، منشورات زمن، مطبعة بني ازناسن.
2. المنصور أ.(2004): *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تحقيق محمد بن لحسن، تقديم مصطفى الكتيري، الطبعة الأولى. الرباط، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الكرام.

المراجع(الكتب و المقالات):

1. أوڤيد، ج. (1987): اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية1905-1955، ترجمة محمد الشركي ومحمد بنيس، مراجعة عبد اللطيف المنوني، الطبعة الأولى. الدار البيضاء، دار توبقال للنشر.
2. بن لحسن م.(2003): "نظام الغزو الفرنسي في الأطلس المتوسط زيان نموذجا (1914-1921)"، *التاريخ العربي*. العدد 26.
3. بيرجي، ف. (1999): موحى وحمو الزياني(1877-1921)،ترجمة وتعليق محمد بوستة، الطبعة الأولى. فاس، مطبعة أنفو برانت.

4. التوفيق أ.(1989): "أيت أمالو". *معلمة المغرب*، الجزء الثاني.
5. شكاك ص.(2010): *المغرب العميق ورديغة الكبرى 1873-1956 مساهمة في دراسة تاريخ الجهات بالمغرب المعاصر*، تقديم محمد كنبيب، الطبعة الأولى. الرباط، دار أبي رقراق.
6. العلمي أ.(2001): "صفحات من مقاومة قبائل زيان للاستعمار الفرنسي، مقاومة موحا وحمو"، ورقة مقدمة إلى ندوة المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بالأطلس المتوسط 1907-1956، أيام 11-12-13 نونبر 1999، خنيفرة: منشورات المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير.
7. عياش أ. (1985): *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*، ترجمة عبد القادر الشاوي ونورالدين سعودي، مراجعة وتقديم إدريس بنسعيد وعبد الأحد السبتي، الطبعة الأولى. دار الخطابي للطباعة والنشر.
8. المالكي م. (1986-1987): *الغزو الاستعماري ومقاومته في الأطلس المتوسط (1913-1930)*. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، تحت إشراف أحمد التوفيق.
9. معزوزي م. وهاشم العابدي العلوي، هـ.ب. (1987): *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900إلى 1935*، الرباط، مطبعة الأنباء.

باللغة الأجنبية

Les archives

1. (1914) : Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire.
2. (1916). Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire.
3. (1919). Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire.
4. (1921). Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politique et militaire.
5. (1922). Rapport mensuel d'ensemble du protectorat, situation politiques et militaire.

Les ouvrages (Livres et articles)

1. Ben lahcen, M. (2000) : *Moha ou Hamou Zayani, l'âme de la résistance Marocaine à la pénétration militaire française dans le Moyen Atlas (1908-1921)*, Fès, imp.-info-print.
2. Général Lyautey, (1953) : *Lyautey L'africain (1912-1925)*, textes présentés par P. Lyautey, Plon, T2.
3. Guillaume, A. (S. D) : *Les Berbères Marocains et la pacification de L'atlas central (1912-1933)*, Paris, René Julliard.
4. Le Révérend, (1976) : *Un Lyautey inconnu*, édition Perrin.
5. Pichon J. (S. D) : *Le Maroc ou début de la guerre mondiale, El-Herri (Vendredi 13 Novembre 1914)*, Paris, éditions Charles la Vauzelle.